الآبار المكية
وأهميتها الاقتصادية والاجتماعية

أ.م.د. نهال خليل يونس الشرابي*

تاريخ التقديم: 2001 تاريخ القبول: 2001

المقدمة:

إن لمدينة "مكة " أهمية كبيرة جداً في التاريخ العربي والإسلامي، فهي من اكبر المراكز التجارية والدينية في الجزيرة.

تقع في منطقة جافة، ومناخها حار جداً في الصيف (قاري)، وقد أكسبها هذا الجفاف ميزة عظيمة جداً، بأن جعلها خالية من الأوبئة والأمراض وخاصة الملاريا التي كان يعاني منها سكان المناطق الوفيرة المياه، كالمدينة.

وسبب هذا الجفاف أن أمطارها كانت قليلة، وقد تمر سنوات عديدة دون أن يسقط عليها مطر مما جعل مياهها قليلة وشحيحة جداً.

إن هذا الموقع بالنسبة لمكة (في وادٍ غير ذي زرع) أدى إلى أن سادة مكة يأخذون على عاتقهم حمل مسؤولية توفير المياه للسكان وإيجادها مما حدى بهم الأمر إلى القيام بحفر الآبار الكثيرة والعديدة في داخل مكة وخارجها واعتماد سكانها على مياه الآبار ولاسيما للشرب. إن الذي يتولى أمر السقاية (سقاية الحجاج) والتي هي خاصة بشؤون الكعبة كانت تشغله مشكلة المياه وتوفيرها وذلك لأن توفير الماء الكافي للحجاج لم يكن بالأمر السهل أو الهين، وإنما كان أمراً صعباً وشاقاً وعسيراً ويستغرق وقتاً طويلاً من أجل جمع الماء فكانوا يطوفون بالعيون والآبار والينابيع يجمعون منها الماء،

ويضعونه في حياض من الجلد، وكانوا يأخذونها معهم حيث يسيرون، حتى تنتهي أيام الحج، ولذا نرى أن قصي وأولاده وأحفاده من بعده تحملوا الشيء الكثير من أجل هذه المهمة على أكمل وجه وأتمّ ه لأن تدبيرها كان شيئًا عسيراً. إن مسألة

* قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة الموصل.

حفر الآبار مهمة جداً لما تحله من مشكلة توفير المياه. وأهم الآبار التي حفرت أو جدد حفرها من قبلهم كانت:-

أولاً: بئر زمزم:

بات عبد المطلب ليله ونهاره يفكر في أمر سقاية الحجاج لان ذلك لم يكن بالمسألة السهلة أو الهينة كما هو الحال بالنسبة للرفادة.

وأخذ يفكر في وسيلة سهلة يستطيع من خلالها أن يوفر للحجاج الماء بلا عناء أو تعب فتمنى لو أنه يستطيع العثور على مكان البئر التي طمست معالمها جرهم عندما هاجرت من أرض الحرم وهي البئر التي كان قد بناها جده إسماعيل بن إبراهيم، فأراد الكشف عنها وجعلها سقاية للحجاج، لاسيما وأنه كان يسمع من أقاصيص الرواة عن هذه البئر، فظل مشغولاً بها إلى أن تسنى له تنفيذ ذلك:

1. أسمها:

بئر، معروفة، مباركة، مشهورة، وفي اشتقاق اسمها ألفاظ عديدة فقد يقال: زَمْزَم بفتح الأول وتسكين الثاني وفتح الزاي الثانية أو يقال: زُمَزِم، بضم الأول، وفتح الثاني وكسر الزاي الثانية، أو يقال: زُمّزِم، بضم الأول، وفتح الثاني، مع التشديد، ثم كسر الزاي الثانية[1].

أو إنه مشتق من الزمزمة، لأن الزمزمة عند العرب تعني: الكثرة والاجتماع، وقد سميت زمزم لكثرة مائها، حيث يقال: ماء زمَزم، وزمازم، وزمزوم و زمزام بمعنى أنه كثير[2]. و في ذلك يقول الشاعر:

وباشرت موطنها المد هما ويممت زمزومها المزمزما [3]

أو بسبب زمزمة الماء فيها، ويعني صوته، وحركته، لأن الزمزمة: هي الصوت القوي والذي يسمع له دوياً قوياً[4].

---

(1) الأندلسي، أبو عبيد عبد الله البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، 1983، 2/700-701.

(2) ابن هشام، أبو محمد عبد الله، قدم لها طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، (د-ت)، 1/102؛ وانظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، (د-ت)،3/ 147-148.

(3) الحموي، المصدر السابق، 3/148.

أو بسبب زمزمة جبرائيل عليه السلام و كلامه عليها [5] أو إن زمزم اسم علم لها وعلم مرتجل[6].

أو بسبب أنها زُمّت بالتراب فقد جاء عن ابن عباس (رض) أنه قال: ((إنها سميت"زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً و لو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شئ")[7] فقد قيل أن هاجر أم إسماعيل عندما قدم بهما إبراهيم (عليه السلام) ظمئ إسماعيل وهو صغير فأخذت تلتمس له الماء وعندما انفجر الماء من تحت خده أ و من تحت عقبه فرحت وسرت كثيراً بهذا الماء لاسيما وقد أدركهما الظمأ كثيراً فجعلت تحوطه بالتراب وتجعله كالحفرة الصغيرة لئلا يجري وقد قيل لو لم تفعل ذ لك لكانت زمزم عينا جارية[8].

وقد قيل في ذلك شعراً فقد قال بعضهم:

وجعلت تبني له الصفائحا لو تركته كان ماء سافحا [9]

أو سميت بزمزم نسبة إلى (همزة جبريل) بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضاً (هزمة جبريل) والهزمة تعني النقرة في الأرض[10].

والهزمة: يقصد بها: التطامن في الأرض، والغمزة في العقب في الأرض ويقال لها هزمة، والهزمة والركضة، بمعنى وهو المنخفض من الأرض، فيقال: هزمت البئر: أي قمتُ بحفرها أو حفرتها. والهزائم يقصد بها الآبار العديدة الكثيرة المياه، ويتمثل ذلك في قول الشاعر الطّرماح:

---

(4) ابن هشام، المصدر السابق، 102/1؛ الأندلسي، المصدر السابق، 701/2.
(5) الحموي، المصدر السابق، 148/3.
(6) المصدر نفسه، 147/3.
(7) ابن هشام، المصدر السابق، 102/1.
(8) المصدر نفسه، 102/1 ؛ الحموي، المصدر السابق، 148/3–149؛ وانظر: دويدار، أمين، صور من حياة الرسول، مصر، 1978، ص 14–17.
(9) الحموي، المصدر السابق، 149/3.
(10) ابن هشام، المصدر السابق، 102/1.

أنا الطرماح وعمي حاتم والبحر حين تنكش الهزائم [11]

وعن ابن إسحاق قال: " ما زلنا نسمع أن زمزم هزمة جبريل بعقبة لإسماعيل حين ظمئ"[12].

وعن ابن إسحاق يقول حدثنا أحمد، حدثنا يونس، عن سعيد بن ميسرة البكري، قال: حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: " لما طَردت هاجر أم إسماعيل القبطية سارة،ووضعها إبراهيم بمكة. عطشت هاجر. فنزل عليها جبريل، فقال لها من أنتِ ؟ فقالت: هذا ولد إبراهيم، فقال: اعطشانة أنتِ قالت: نعم، فبحث بجناحه الأرض، فخرج الماء. فاكبت عليه هاجر تشربه فلولا ذلك لكانت أنهاراً جارية "[13].

أو سميت بزمزم بسبب أن عبد المطلب رأى في منامه أمراً يأمُرهُ بحفر زمزم، يقول له: " احفر زمزم، انك إن حفرتها، لم تندم ..."[14].

2. أسماؤها الأخرى:

هذه البئر لها أسماء عديدة وكثيرة جاءت من بركتها، وافتخار العرب بها، وتفضيلها على بقية، وسائر الآبار الأخرى منها:

زَمْزَم، وهو الاسم المتعارف عليه عند الكل، وَزَمّ ، وزُمّزْمُ وزُمازم، وركضة جبريل، وهزمة جبريل، وهزمة الملك، وحفيرة عبد المطلب وبركة، وسيدة، ونافعة، ومضنونة، وَعَوَنة وبشرى، وصافية وَبَرّة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومغذية، وطاهرة، وحرميه، ومروية، والرواء، ومؤنسة، وطعام

(11) ابن هشام، المصدر السابق، 102/1.

(12) ابن إسحاق، محمد، المغازي والسير، تحقيق محمد حميد الله، الرباط، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، 1976، 05/1

(13) المصدر نفسه، 5/1.

(14) المصدر نفسه، 2/1 ؛الذهبي، شمس الدين، السيرة النبوية، تصحيح أحمد عبد الشافي، بيروت، (د–ت)، 086/1

طعم، والشّباعة، وشُبَاعة، وتُكتُم، وشفاء سقم، وشراب الأبرار، وطعام الأبرار، وطيبة[15].

وقد سميت (طيبة): لأنها اقتصرت على الطيبين والطيبات من أولاد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.(وَبَرّة): لأنها فاضت للأبرار وغاضت عن الفجار[16].

أما عن اسمها (المضنونة) فلماذا سميت به ؟ هناك أكثر من رواية حول هذه التسمية وبالتحديد هما روايتان:

فقد قيل إنها سميت بذلك لأنه ضُنّ بها على غير المؤمنين، أي المقصود بهم المنافقين، فلا يتضلع منها منافق وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: " من شرب من ماء زمزم فليتضلع فـإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون إن يتضلعوا منها "[17].

أما الرواية الأخرى (الثانية) حول تسميتها (المضنونة) والتي رواها الزبير: فهي أن عبد المطلب قيل له: " احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك "[18].

أو قيل له: "احفظ المضنونة ضنّناً عن الناس إلا عنك " [19]. " أما الفرث والدم، فإن ماءها طعام طعم، وشراب سقم، وهي لما شُربت له"[20].

(15) ابن رسته، احمد بن عمر، الاعلاق النفيسة، ليدن، 1891، 40/7، 44 ؛ الحموي، المصدر السابق، 148/3؛ وانظر: الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1984، ص 292.

(16) ابن هشام، المصدر السابق، 132/1.

(17) المصدر نفسه، 132/1–133 ؛ ابن رسته، المصدر السابق، ص 41.

(18) ابن هشام، المصدر السابق، 133/1.

(19) ابن رسته، المصدر السابق، ص41.

(20) ابن هشام، المصدر السابق، 133/1.

واسمها (الرواء)، فقد جاء أنه قيل لعبد المطلب: " احفر الرّواء أعطيتها على رغم انف الأعداء." [21] وهي تكتم، فقد قيل له: " احفر تُكتُم بين فرث ودم عند الأنصاب الحمر في قرية النمل "[22].

3- وصفها:

إن مياه هذه البئر عذبة ولذيذة وطيبة وباردة، فلذا طغت على مياه كل الآبار التي كانت موجودة آنذاك، وقد روى عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) أنه قال: " التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق، وماء زمزم لما شرب له " وعن مجاهد: " ماء زمزم إن شربت منه تريد شفاء شفاك الله، و إن شربت لظمأ رواك الله، وإن شربته لجوع أشبعك الله " [23]. ولذا فإن حفر هذه البئر من قبل عبد المطلب جعلها: "عطلت كل سقاية كانت بمكة لمكانها من البيت، وإنها سقيا الله عز وجل إسماعيل " [24]. فهي بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، والتي أمر بتجديد حفرها عبد المطلب بن هاشم جد الرسول (ﷺ)، والمدفونة بين صنمي قريش: إساف ونائلة، عند منحر قريش، حيث إن جرهم كانت قد دفنتها عندما تركت مكة [25]. ودفنت فيها غزالين من ذهب، واسياف قلعيه، وأدراع، كشف عن ذلك بعد أن حفر البئر عبد المطلب، ومعه ابنه و أكبر ولده الحارث [26]. وعن عائشة زوج الرسول (ﷺ) إنها قالت: " ماء زمزم طعام طعم، وشفاء سُقم "[27].

---

(21) ابن رسته، المصدر السابق، ص40-41.

(22) المصدر نفسه، ص 41.

(23) الحموي، المصدر السابق، 148/3.

(24) ابن إسحاق، المصدر السابق، 5/1.

(25) ابن هشام، المصدر السابق، 101/1.

(26) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، مصر،2،251/1986؛ وانظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار البيان، (د-ت)، 351/1.

(27) ابن إسحاق، المصدر السابق، 6/1.

وقد وصفت هذه البئر أنها: " بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير، فالتمست له أمه ماء فلم تجده، فقامت إلى الصفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك. وبعث الله جبريل عليه السلام، فهمز له بعقبه في الأرض، فظهر الماء، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه، فجاءت تشتد نحوه، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب، فجعلته حسياً"[28].

أما عن حجم هذه البئر فإنها إذا ما قيست من الأسفل إلى الأعلى، كانت حوالي ستين ذراعا، واحتوى قعرها على ثلاث عيون، عين كانت حذاء الركن الأسود، وعين حذاء جبل أبي قبيس والصفا، والثالثة حذاء المروة [29]. وقد كان أكثر هذه العيون وأقواها ماء العين التي كانت ناحية الحجر الأسود[30].
بدأت ماء هذه العين تقل جداً حتى كادت تج ف وذلك خلال السنوات (223هـ أو 224هـ)، فحفر فيها حوالي تسعة أذرع فزاد ماؤها وكثر، ثم جاءت الأمطار والسيول ولا سيما في سنة (225هـ)، فازداد ماؤها كثيراً[31] وقيل إن ماءها قل مرةً أخرى إلى أن قام رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن كثير، يعمل فيها، فقالوا إنه صلى في قعرها فغورها من الرأس إلى الجبل أربعين ذراعاً وكل ذلك بنيان وما تبقى فهو جبل منقور، وهو تسع ة وعشرون ذراعاً، وفم زمزم سعته ثلاثة اذرع ونصف الذراع. وعلى البئر ملبن ساج مربع فيه اثنتا عشرة بكرة يستسقي عليها)[32]. وعن مقام إبراهيم عليه السلام فـإنه كان بقرب من زمزم بخطوات [33].

(28) ابن هشام، المصدر السابق، 102/1؛ وانظر: ابن رسته، المصدر السابق، ص 40؛الحموي، المصدر السابق، 3/148–149.
(29) ابن رسته، المصدر السابق، ص42.
(30) ابن هشام، المصدر السابق، 132/1.
(31) ابن رسته، المصدر السابق، ص42–43.
(32) المصدر نفسه، ص43 ؛ وانظر: الحموي، المصدر السابق، 148/3.

وقد كان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي " أول من عمل الرخام على زمزم والشباك وفرش أرضها بالرخام " [34]. وعلى زمزم قبة مبنية في وسط الحرم عند باب الطواف تجاه باب الكعبة[35].

4- سبب حفر عبد المطلب لبئر زمزم:

إن هذه البئر قديمة، وقديمة جداً، وقد قيل إنها تعود إلى فترة آدم عليه السلام، حيث إن خويلد بن أسد بن عبد العُزى يقول عند حفرها:

أقول، وما قولي عليكم بسبة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

إن هذا الشعر فيه ما يدل على أن زمزم كانت موجودة قبل إبراهيم وابنه (عليهما السلام)، وإنها أقدم منهما، وقد تعود إلى عهد آدم (عليه السلام)[36].

كان حفر زمزم من أهم الأحداث في حياة عبد المطلب، لأن المسؤولية التي ألقيت على عاتقة وهي توليه أمر السقاية والرفادة بعد وفاة عمه المطلب جعلته يقوم بجلب المياه من آبار بعيدة عن الحرم الشريف وجمعها ثم خزنها في أحواض من الأدم في الحرم.

ولذا وبحكم مسؤوليته عن السقاية، بدأ يفكر ويتمعن في الكيفية والطريقة التي يوفر بها لهؤلاء الحجاج المياه، من دون العناء السابق. فجاء في ذهنه حفر بئر زمزم الذي فجره الله لإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، ثم طمر على يد قبيلة جرهم، ولم يبق من هذا الأمر ألا الذكرى والخيال في أذهان أهل مكة، إلى

---

(33) ابن حوقل، أبو القاسم، صورة الأرض، بيروت 1979، ص36 ؛ وللمزيد عن مقام إبراهيم عليه السلام انظر: ابن جبير، محمد بن احمد، إشراف لجنة تحقيق التراث، بيروت، 1981، ص55-56.

(34) ابن رسته، المصدر السابق، ص43.

(35) الحموي، المصدر السابق، 148/3.

(36) المصدر نفسه،149/3.

أن جاء عهد عبد المطلب ففكر بإعادة حفر هذه البئر من جديد. وقد كان له ما أراد أن يفعله بإصراره وعزمه وحكمته.

وقبل أن يبدأ بحفر هذه البئر تراءت له أحلام أشارت إليها كل الروايات التي جاءت في المصادر العربية، والتي يظهر في سياقها أنها كانت على شكل رؤى وأحلام الكهان[37].

وأحلامه التي كان يراها، تراءَ له فيها كأن هاتفا في منامه يقول له:

فقد جاء عن محمد ابن إسحاق أنه قال: " بينما عبد المطلب بن هشام بن مناف نائماً في الحجر،عند الكعبة، أتى فأمر بحفر زمزم. ويقال: إنها لم تزل دفينا بعد ولاية بني إسماعيل الأكبر وجرهم، حتى أمر عبد المطلب. فخرج عبد المطلب إلى قريش،فقال: يا معشر قريش إني قد أمرت أن أحفر زمزم. فقالوا له: بين لك أين هي ؟ فقال: لا. قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت، فـإن كان حقاً من الله عز وجل بين لك،وإن كا ن من الشيطان لم يعد إليك. فرجع فنام في مضجعه، فأتي فقيل له: احفر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم، هي تراث من أبيك الأقدم، لا تنزف الدهر ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، مثل نعام حافل لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم، فهي ميراث وعقد محكم، ليست كبعض ما قد يعلم، وهي بين الفرث والدم، فقال: حين قيل له ذلك: اين هي ؟ فقيل له: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً. فغدا عبد المطلب ومعه الحارث ابنه، ليس له ولد غيره. فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر بين الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما "[38]. لقد كانت هذه الرواية الأولى، أما الرواية الثانية لسبب حفر

---

(37) ابن إسحاق، المصدر السابق، 1/ 2–4 ؛ ابن هشام، المصدر السابق، 131/1–136؛ ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، عني به اوجين وادوارد سخاو، برلين، 1222، 49/1–50 ؛ ابن رسته، المصدر السابق، 40–42؛ ابن الأثير، عزالدين الكامل في التاريخ، بيروت، 1965، 12/2–13 ؛ الحموي، المصدر السابق، 149/3 ؛ الذهبي، المصدر السابق، 85/1–88 ؛ الحميري، المصدر السابق، ص 292–293؛ وينظر أيضاً: الحميدة،سالم، سيرة النبي محمد(ﷺ) الفترة المكية، بغداد،2001، ص 105–106.

(38) ابن إسحاق، المصدر السابق، 1/ 2.

هذه البئر، فقد جاءت عن ابن إسحاق ... عن عبد الله بن زرير الغافقي، أنه سمع عن علي بن أبي طالب (رض) وهو يحدث حديث زمزم، حيث يقول: " بينما عبد المطلب نائم في الحجر، أتى فقيل له: احفر برة. فقال وما برة ؟ ثم ذهب عنه،حتى إذا كان الغد نام في مضجعه ذلك، فأتى فقيل له: احفر المضنونة. فقال وما مضنونة ؟ ثم ذهب عنه، حتى إذا كان الغد عاد فنام في مضجعه، فأتى فقيل له: احفر طيبة. فقال وما طيبة ؟ ثم ذهب عنه، فلما كان الغد عاد لمضجعه فنام فيه، فأتى، فقيل له. احفر زمزم فقال: وما زمزم ؟ فقال: لا تنزف ولا تذم، ثم نعت له موضعها"[39].

5- عبد المطلب يحفر البئر:

لقد قام عبد المطلب بعدما رأى في منامه الرؤيا التي تأمره بحفر بئر زمزم، بحفر هذه البئر حيث يقول ابن إسحاق: " فجاء عبد المطلب بالمعول، فقام ليحفر: فقال له قريش حين رأوا جده: والله لا ندعك تحفر بين صنمينا اللذين ننحر عندهما. فقال عبد المطلب لابنه الحارث: دعني –أو: ذدعني – حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أمرت به. فلما رأوا منه الجد، خلوا بينه وبين الحفر فكفوا عنه. فلم يمكث إلا قليلاً حتى بدا له الطوي، فكبر، فعرفت قريش أنه صدق وأدرك حاجته "[40].

والرواية الثانية تذكر لنا، والتي هي مرفوعة عن علي بن أبى طالب (رض) وهو يحدث حديث زمزم حيث يقول: " فقام فحفر حيث نعت له، فقالت له قريش: ما هذا يا عبد المطلب ؟ فقال:أمرت بحفر زمزم، فلما كشف عنه وابصروا الطوي..."[41].

6- النزاع والتحاكم في أمر بئر زمزم:

عندما أدركت قريش أن عبد المطلب وصل غايته وأدرك حاجته، ووصل إلى مكان الماء في البئر قامت إليه وقالت له: " إنها بئر أبينا إسماعيل، وان لنا فيها حقا، فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا فاعل، و إن هذا لأمر قد خصصتُ به

(39) المصدر نفسه، 3/1-4.

(40) المصدر نفسه، 3/1.

(41) المصدر نفسه، 1/ 4 ؛وينظر: ابن سعد، المصدر السابق، 49/1.

دونكم وأعطيته من بينكم، قالوا: فأنصفنا، فأنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه. فقالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم. قال: نعم. وكانت بأشراف الشام "[42].

أما عن الرواية التي هي مرفوعة عن علي بن أبى طالب (رض)، وهو يحدث حديث زمزم: قالوا: " يا عبد المطلب إن لنا لحقاً فيها معك، إنها لبئر أبينا إسماعيل. فقال: ما هي لكم، لقد خصصت بها دونكم. قالوا: فحاكمنا. فقال: نعم. فقالوا: بيننا وبينك كاهنة بني سعد بن هذيم. وكانت بأشراف الشام "[43].

وفي هذه الرواية يكمل لنا ابن إسحاق ما حدث بين عبد المطلب وبين قريش حيث يقول: " فركب عبد المطلب في نفر من بني أبيه، وركب من كل بطن من أفناء قريش نفر. وكانت الأرض آنذاك مفاوز فيما بين الشام والحجاز. حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد. فني ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة. فاستسقوا القوم. قالوا: ما نستطيع أن نسقيكم، وإنا لنخاف مثل الذي أصابكم. فقال عبد المطلب لأصحابه: ماذا ترون ؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك.

قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته بما بقي من قوتهِ: فكلما مات رجل منكم، دفعه أصحابه في حفرته، حتى يكون آخركم لم يدفعه صاحبه، فضحية رجل واحد أهون من ضحية جميعكم. ففعلوا. ثم قال: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض ونبتغي . لعل الله عز وجل يسقينا، فقال لأصحابه: ارتحلوا، فارتحلوا، فلما جلس على ناقته

وانبعث به، انفجرت عين من تحت خفها بماء عذب. فأناخ وأناخ أصحابه، فشربوا واستقوا وسقوا. ثم دعوا أصحابهم: هلموا إلى الماء، فقد سقانا الله عز وجل، فجاؤوا فاستقوا وسقوا، ثم قالوا يا عبد المطلب قد والله قضى لك. إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة، لهو الذي سقاك زمزم. انطلق، فهي لك، فما نحن بمخاصميك "[44].

---

(42) ابن إسحاق، المصدر السابق 3/1 ؛ وينظر: ابن رسته، المصدر السابق، 41/7–42.
(43) ابن إسحاق، المصدر السابق، 1/ 4 ؛ وينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، 13/2.
(44) ابن إسحاق، المصدر السابق، 1/ 4–5 ؛ وينظر: الذهبي، المصدر السابق، 86/1.

7- الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لحفر بئر زمزم:

إن الماء هو سر وجود الحياة، فهو إكسيرها، وسر ديمومتها، فقد قال عز وجل في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم " **أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** " صدق الله العظيم [*]. وعن رسول الله (ﷺ) انه قال: " لا تمنعوا فضل الماء لتمنعُوا به فضل الكلأ ". ومضى قوله هذا (ﷺ): إنه البئر تكون في البادية أو في صحراء قربها كلأ فإذا ورد عليها وارد فغلب على مائها ومنع من يأتي بعده من الاستسقاء منها كان بمنعه الماء مانعا الكلأ. لأنه متى ورد رجل بإبله فأرعاها ذلك الكلأ لم يسقها قتلها العطش. فالذي يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منه[45].

لقد كانت حاجة أهل مكة كبيرة جداً للماء لاسيما و أن مكة تقع- بسم الله الرحمن الرحيم "**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** " صدق الله العظيم [*]. فالحاجة دعتهم إلى حفر مثل هذه الآبار الكثيرة في مكة ومن قبل شخصيات معروفة فيها من أمثال: كلاب، وقصي، وعبد مناف، وعبد شمس، وهاشم، وعبد المطلب، وغيرهم.

وقد كان حفر هذه الآبار يوفر للناس من ناحية إنسانية سد الحاجة الاقتصادية للماء من مشرب، ومأكل، وملبس، وغيرها من أمور الحياة الأخرى. إلا أن هذا العمل في الوقت ذاته أضاف لهؤلاء الأشخاص مجداً ورفعة وسؤدد فضلاً عن ما كان يتمتع به هؤلاء من ميزات. فعبد المطلب بن هاشم بن عبد

([*]) الآية (30) من سورة الأنبياء.

(45) الصغاني، رضي الدين الحسن، العباب الزاخر واللباب الفاخر،تحقيق:فير محمد حسن،بغداد،1،1978/105-106.

([*]) الآية (37) من سورة إبراهيم.

مناف بن قصي بن كلاب، الذي فيه العمود والشرف، أصل اسمه (شيبة)[46]. لانه عندما ولد كان في رأسه (شيبة)[47].

نشأ في كنف أمه التي كانت من بني النجار من الخزرج، واسمها (سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار من الأنصار)[48]. كنيته (أبو الحارث)، وهو أكبر أولاده والذي شهد معه حفر بئر زمزم[49]. عاش (عبد المطلب) أكثر من مائة وأربعين سنة (140)، وكان له من الولد اثنا عشر، منهم (عبد الله) أبو الرسول (ﷺ)[50].

نشأ عبد المطلب في مكة، حيث كان أولاد عبد مناف بن قصي شيوخ مكة، واستطاع أن يصبح من أبرز شخصيات بني عبد مناف في مكة. فقد كان جميل الوجه، ضخم الجسم، ذكياً، حليماً ، جواداً ، كريماً ، وفياً ، صادقاً ، سيداً، فقد قيل فيه: إنه كان: " أحسن قريش وجهاً ، وأمده جسماً ، وأحلمه حلماً ، وأجوده كفاً ، وابعد الناس عن كل موبقة تفسد الرجال، ولم يره ملك قط إلا أكرمه وشفعه، وقد كان سيد قريش حتى هلك "[51].

(46) ابن حزم، علي ابن احمد، جمهرة انساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، بيروت، 1983،1/14.

(47) ابن الأثير المصدر السابق 10/2.

(48) الطبري، المصدر السابق، 250/2 ؛ ابن حزم، المصدر السابق، 14/1.

(49) ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، مصر،1969، 126.

(50) السويدي، محمد أمين، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بغداد، (د–ت)، ص 71؛ وينظر: الحديثي، نزار عبد اللطيف، محاضرات في التاريخ العربي، جامعة الموصل، 1979، ص30.

(51) ابن سعد، المصدر السابق، 51/1 ؛ وينظر: نكلسن رينولد، تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، ترجمة صفاء خلوص، بغداد، 1970، ص 120.

بعد وفاة والده (هاشم)، كان عبد المطلب صغير السن، فآلت(السقاية والرفادة) إلى عمه المطلب، ثم آلت إليه بعد وفاة عمه، فزادته شرفاً في قومه، وعظمت مكانته ومنزلته بينهم[52].

وعمه المطلب وافاه الأجل، وهو في تجارة له بَرَدْمان من ارض اليمن[53].

وعندما ولي (السقاية والرفادة) بعد عمه المطلب: " أقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم "[54].

لقد جعل عبد المطلب سقاية زمزم للحجاج، حيث كان قبل زمزم يسقيهم في حياض من ادم بمكة، ولكن عند حفرها ترك السقي في هذه الحياض وسقاهم من زمزم، وكان يحمل الماء من زمزم إلى عرفة فيسقيهم [55]. وقد افتخر عبد المطلب بحفر زمزم، كما افتخر أيضاً بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب[56]. واعتبر عبد المطلب حفر هذه البئر هو شرف ومنزلة ومكانة خصه الله بها دون سائر الأشخاص، حيث يقول عندما نازعته بطون قريش على حفر هذه البئر: " هذا أمر خصصت به دونكم فاجعلوا بيننا وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه...."[57]. واعترفت بطون قريش بهذا الفضل لعبد المطلب حيث قالوا له: " يا عبد المطلب، قد والله قضي لك. إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة. لهو الذي سقاك زمزم. انطلق، فهي لك. فما نحن بمخاصميك " [58]. فرجعوا ولم يصلوا إلى الكاهنة التي أرادوا الاحتكام إليها حول حفر هذه البئر. وعن ابن إسحاق يقول:

---

(52) ابن الأثير، المصدر السابق، 12،17/2 ؛ وينظر: العلي، صالح، محاضرات في تاريخ العرب، جامعة الموصل، 1981، 261/1-262 .

(53) ابن سعد، المصدر السابق، 49/1.

(54) ابن هشام، المصدر السابق، 131/1.

(55) ابن سعد، المصدر السابق، 49/1.

(56) الحميري، المصدر السابق، ص293.

(57) ابن سعد، المصدر السابق، 49/1 ؛ وينظر: الذهبي، المصدر السابق، 86/1.

(58) ابن إسحاق، المصدر السابق، 5/1 ؛ وينظر: ابن سعد، المصدر السابق، 50/1.

"فلما حفرعبد المطلب زمزم، ودله الله عز وجل عليها، وخصه بها، زاده الله عز وجل شرفاً وخطراً في قومهِ "[59].

وعفت زمزم على كل الآبار التي كانت قبلها، والتي كان يسقى منها الحجاج، حيث انصرف الناس إليها، لمكانتها، وفضلها، وأهميتها. " فعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت. فاقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها لمكانتها من البيت وإنها سقيا الله عز وجل إسماعيل "[60].

وقد افتخر عبد المطلب وبني عبد مناف بحفر هذه البئر من قبله، بقولهم شعراً في ذلك، ومن أشعارهم ما قاله عبد المطلب حامداً الله عز وجل على ما أنعم عليه من نعم، منها زمزم وأولاده العشرة، حيث إنه كان قد نذر حين لقي ما لقي من قريش عن حفره لبئر زمزم، أنه إذا ولد له أولاد واكتملوا عشرة نفر، وأصبحوا قوة له، إنه ليذبح أحدهم لله عند الكعبة. وهم الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله. وقد أراد أن يبر بنذره ويوفيه، فوقع الاختيار على عبد الله، ولكن منعته من تنفيذ ذلك بني زهرة، حيث قالوا له: اقرع بينه وبين كذا وكذا
من الإبل[61]، فترك عبد الله ونحر بدلا عنه مائة من الإبل [62]. قال عبد المطلب مادحاً الله على نعمه:

الحمد لله على ما انعما أعطى على رغم العدو زمزما

تراث قوم لم يكن مهدما والحاسدون يخرقون الأدما

ولم يكن حافرها ليندما أصاب فيها حلية فتسلما

(59) ابن إسحاق، المصدر السابق، 5/1.
(60) المصدر نفسه، 50/1.
(61) ابن سعد، المصدر السابق، 5/1 ؛ وينظر: الذهبي، المصدر السابق، 88/1–89.
(62) ابن هشام، المصدر السابق، 143/1.

لله ما أجرى عليه الأسهما والله أوفى نذره إذ اقسما

أعطى بنين عصبة وخدما فلست والله أريد مأثما

في النذر أو اهريق لله دما منهم وقد اوفيتهم فتمما

من بعد ما كنت وحيدا أيما يراني الأعداء قرنا اعصما

اعضب أو ذا ارتياب اعسما

وقال أيضاً:

دعوت ربي دعوة المغلوب ونعم مدعي السائل المكروب

فالحمد للمستمع المجيب أعطى على رغم ذوي الذنوب

إلي والشحناء والعيوب زمزم ذات الموضع العجيب

بين سواد الصنم المنصوب وبين بيت الله ذي الحجوب

وتحت فرث النعم المغصوب[63]

وافتخرت و تباهت من النساء بهذا الشرف والمجد (صفية بنت عبد المطلب) حيث تقول:

نحن حفرنا للحجيج زمزم سقيا نبي الله في المحرم

ركضة جبريل و لما يفظم[64]

ويقول (خويلد بن أسد بن عبد العزى) مفتخراً (بعبد المطلب):

أقول و ما قولي عليكم بسبة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم [65]

(63) ابن إسحاق، المصدر السابق، 1/23-24.

(64) الحموي، المصدر السابق، 3/149.

وافتخر (بنو عبد مناف) بحفر زمزم على قريش كلها وعلى سائر العرب فذلك يظهر فيما قاله مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد مناف، وهو يفتخر بما ولوا من أمر السقاية والرفادة، وما يؤدوا للناس من اجل ذلك، وبحفر زمزم وظهورها وذلك لأن بني عبد مناف يعتبرون أنفسهم أهل بيت واحد، وفضل واحد، فيهم هو فضل وشرف للكل. حيث يقول:

ورثنا المجد من ابائنا فنمى بنا صعدا

ألم نسق الحجيج و ننحر الدلافة الرُفدا

و نلقي عند تصريف المنايا شددا رفدا

فان نهلك، فلم نهلك و من ذا خالداً ابدا

و زمزم في ارومتنا و نفقا عين من حسدا (66)

ويقول (حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي) مادحاً إياهم، عبد مناف وأولادِهِ:

وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم و عبد مناف ذلك السيد الفهري

طوى زمزما عند المقام فاصبحت سقايته فخراً على كل ذي فخر (67)

ثانياً: بئر العجول:

العَجول بفتح العين ثم اللام في آخره على وزن لفظ فَعُول مأخوذ من العجلة ضد البطء(68).

(65) المصدر نفسه، 149/3.

(66) ابن هشام، المصدر السابق، 139/1.

(67) نفس المصدر، 139/1 ؛ الحموي، المصدر السابق، 149/3.

(68) الأندلسي، المصدر السابق، 923/3 ؛ الحموي، المصدر السابق، 87/4.

والعَجُول اسم لبئر حفرت في مكة من قبل قصي بن كلاب [69]، واتخذت من قبله كسقاية للعرب القادمين إلى مكة[70].

كان قصي قبل حفرها يسقي الحجيج في حياض من أدم، يُنقل إليها الماء من آبار تقع خارج مكة[71].

كان موضع هذه البئر في دار أم هاني بنت أبى طالب بالحزورة عند باب الوداع[72].

وقد كان العرب عندما يستقوا من هذه البئر يرتجزوا ويقولوا: مدحاً بقصي بن كلاب الذي حفر هذه البئر ووفر لهم الماء:

نروي عند العجول ثم ننطلق قبل صدور الحاج من كل أفق

ننطلق

إن قصياً قد وفى وقد صدق بالشبع للناس وري مغتبق [73]

بقيت هذه البئر طوال حياة قصي بن كلاب، وحتى بعد مماته إلى أن كبر عبد مناف، فوقع فيها رجل من بني جُعيل[74]، وفي رواية أخرى من بني نصر بن معاوية فمات، فلذا عطلت هذه البئر بعد ذلك واندفنت[75].

ثالثاً: بئر سَجْلة:

سَجْلة: بفتح الأول، وسكون الثاني، والسجل: يقصد به الدلو الذي فيه ماء سواء كثر أو قل، ولا يقال للدلو سجل إذا كانت فارغة، واسجلتُ الحوض أي ملأتهُ[76]. وهي على لفظ تأنيث السّجْل من الدلاء[77].

---

(69) الازرقي، محمد بن عبد الله، تحقيق، رشدي الصالح ملحسن، مكة، 1965، 215/2 ؛ الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، (د–ت)، 8/8.

(70) البلاذري، احمد بن يحيى، فتوح البلدان، نشر ووضع صلاح الدين المنجد، مصر، (د–ت)، 56/1.

(71) ابن هشام، المصدر السابق، 136/1.

(72) الازرقي، المصدر السابق، 215/2.

(73) البلاذري، المصدر السابق، 56/1.

(74) ابن هشام، المصدر السابق، 136/1.

(75) الازرقي، 215/2 ؛ وينظر: البلاذري، 56/1.

إن هذه البئر حفرت من قبل قصي بن كلاب أيضاً، وقد قال حين حفرها مفتخراً بذلك:

أنا قصي و حفرتُ سجلة تروي الحجيج زُغْلةً فَزُغلَةْ (78)

أي جَرْعةً فَجرعَهْ، لان الزُغلة هي الجَرْعَة[79].

هذه البئر كانت سابقاً تسمى أيضاً(بئر بني نوفل) [80]، وذلك لأنه بعد أن حفر(عبد المطلب بن هاشم) زمزم، استغنى عن هذه البئر (للمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف)، وسمح له أيضاً بوضع حوض من أدم بالقرب من زمزم يسقي فيه منها، ويسقي الحجاج [81]،لأن المياه كثرت في مكة، خاصةً بعد أن حفرت زمزم، حيث قيل انه " روي القاطن والبادي " [82]. وقد افتخرت (خالدة بنت هاشم)، وهي من نساء بني عبد مناف بهذا العطاء حيث قالت:

نحن وهبنا لعدي سَجْلهْ في تربة ذات غداة سهلة

تروي الحجيج زعْلَة فزغْلة[83]

دخلت هذه البئر فيما بعد في زيادة بناء المسجد[84].

رابعاً: بئر بَذّر:

(76) الازرقي، المصدر السابق، 217/2 ؛ الحموي، المصدر السابق، 193/3.
(77) الأندلسي، المصدر السابق، 724/3.
(78) ابن هشام، المصدر السابق، 137/1.
(79) الأندلسي، المصدر السابق، 724/3–725.
(80) الازرقي، المصدر السابق، 217/2.
(81) المصدر نفسه، 217/2.
(82) المصدر نفسه، 221/2.
(83) البلاذري، المصدر السابق، 56/1.
(84) المصدر نفسه، 56/1 ؛ وينظر: الأندلسي، المصدر السابق، 725/3.

بذر بفتح الأول، وتشديد الثاني، وبالراء المهملة، على وزن فَعّل [85]، من التبذير بمعنى التفريق، اسم لبئر، لعل ماءها كان يخرج متفرقاً من أكثر من مكان[86].

حفرت هذه البئر من قبل (هاشم بن عبد مناف)، وقد كان موقعها عند المستنذر عند خطم الخندمة على فم شعب أبي طالب، وقد افتخر بحفره لهذه البئر مادحاً إياها، فقال حين حفرها: "لأجعلنها بلاغاً للناس"[87]. وقال أيضاً:

أنبطتُ بذراً بماء قلاّس جعلتُ ماءها بلاغاً للناس [88]

خامساً: بئر الطّوي:

الطّوِي: بفتح الطاء المشددة، وكسر الثاني[89]، هي البئر [90]. حفرت هذه البئر من قبل عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[91]، كان موقعها بأعلى مكة في البطحاء عند البيضاء في دار محمد بن يونس[92]، وقد افتخرت وتباهت بحفر هذه البئر، وبمائها العذب، ابنته (سُبيعة) حيث قالت فيها:

إنّ الطّوِيّ إذا شربتم ماءها صوب الغمامِ عذوبةً وصفاءَ [93]

وكانت (سُبيعة بنت عبد شمس) متزوجة من (مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف) من بني ثقيف، فأنجبت له من الأولاد عروة[94]، ولوحة، ونويرة،والأسود[95].

---

(85) الأندلسي، المصدر السابق، 235/1.
(86) الحموي، المصدر السابق، 361/1.
(87) الازرقي، المصدر السابق، 221/2.
(88) الأندلسي، المصدر السابق، 235/1 ؛ الحموي، المصدر السابق، 361/1 .
(89) الازرقي، المصدر السابق، 217/2.
(90) المصدر نفسه، 217/2 ؛ الحموي، المصدر السابق، 45/4.
(91) ابن هشام، المصدر السابق، 136/1 ؛ الازرقي، المصدر السابق، 217/2.
(92) ابن هشام،136/1؛الازرقي، 218/2؛ البلاذري، 56/1.
(93) البلاذري، المصدر السابق، 57/1.
(94) ابن سعد، المصدر السابق، 503/5 ؛ وينظر: ابن دريد، محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، 1958، 306/2.

وسُبيعة امرأة ذات وزن ومقام عند زوجها، وعند قومها، ويتمثل ذلك لما قامت به من دور في حرب (الفجار)، وذلك عند قال لها ابن أخيها (حرب بن أمية): "يا عمة من تمسك بإطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن"[96].

سادساً: بئر خمُ:

في اللغة يقصد بها قفص الدجاج، فإذا كان منقولاً من الفعل، فيجوز أن يكون ما لم يسم فاعله من قولهم خَمّ الشيء، وهي إذا ترك في الخُمّ. وهو حبس الدَجاج[97].

وخَمّ أيضاً: إذا نظف فهي من خَمَمْتُ البيت إذا كنسته، فيقال: إن فلان اً مخموم القلب، المقصود به نظيف القلب فكأن هذه البئر سميت بذلك لنقائها و صفائها[98].

حفرت هذه البئر من قبل (عبد شمس بن عبد مناف) في مكة[99]، بالبطحاء، عند ردم بني جُمَحْ [100]. وقال (عبد شمس بن عبد مناف) مفتخراً ومتباهياً بحفرها، وإنها زادتهم شرفاً ومجداً فضلاً عن ما عندهم فقال:

حفرتُ خُمّاً وحفرت رُمّاً حتى أرى المجد لنا قد تَمّا [101]

سابعاً: بئر رُم:

رُم: بضم أوله، من القول: " ماله ثُمّ ولا رُمّ ". والثم: هي قماش البيت، والرُم هي مرمّة البيت[102]، أو من قولهم: رممتُ الشيء إذا جمعته وأصلحته، ومنه في الحديث جاء: " كُنّا أهل ثُمة ورُمة "[103].

---

(95) العاملية، زينب بنت يوسف، الدرر المنثور في طبقات ربات الخدور، بيروت، (د–ت)، ص239.

(96) المصدر نفسه، ص238.

(97) الحموي، المصدر السابق، 389/2.

(98) ابن هشام، المصدر السابق، 138/1 ؛ الحموي، المصدر السابق، 389/2.

(99) الحموي، المصدر السابق، 389/2.

(100) البلاذري، المصدر السابق، 57/1 ؛ الأندلسي، المصدر السابق، 510/2.

(101) الحموي، المصدر السابق، 389/2.

ورُم: هو اسم لبئر حفرت من قبل (عبد شمس بن عبد مناف) تقع عند دار خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، والتي قال فيها أيضاً عبد شمس:

حفرت خُمّاً وحفرتُ رُمّاً حتى ترى المجد لنا قد تَمّا [104]

كما قيل إن هذه البئر اسمها (زُمّ)[105]، بضم الأول، وتشديد الميم، منقول عن فعل الأمر زِمّ البعير أو الناقة، أي أخطمهما ثم أعرب[106].

وحفر (عبد شمس) بئر أخرى وهي لنفسه وهي بئر الجَفر [107]، والجَفْر: بالفتح والسكون: هي البئر الواسعة التي لم تطو[108].

هذه الآبار الثلاثة (خمُ ورُم والجَفر) حفرت من قبل (عبد شمس)، وقد سماهم على نفس ما سمى كلاب بن مرة آباره التي حفرها من قبل [109]، والتي كانت مشرباً للناس، ومكاناً يتنزهون فيه أيضاً في الجاهلية وفي بداية ظهور الإسلام[110].

وقد سُمع عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) أنه يحدث وهو بِخُم قوله:

" بُكاء الحي على الميت عذاب للميت " وقال أيضاً: " لا نستقي الاّ بخُمٍ والجَفر "[111].

---

(102) المصدر نفسه، 70/3.

(103) ابن هشام، المصدر السابق، 138/1.

(104) البلاذري، المصدر السابق، 57/1.

(105) الأندلسي، المصدر السابق، 702/2 ؛ الحميري، المصدر السابق، ص292.

(106) الأندلسي، المصدر السابق، 702/2 ؛ الحموي، المصدر السابق، 150/3.

(107) البلاذري، المصدر السابق، 56/1.

(108) الازرقي، المصدر السابق، 218/2.

(109) البلاذري، المصدر السابق، 56/1-57 ؛ وينظر: عن رُم أيضاً:الزبيدي، المصدر السابق، 318/8.

(110) الازرقي، المصدر السابق، 214/2 ؛ الحموي، المصدر السابق، 389/2-390.

(111) الحموي، المصدر السابق، 390/2.

ثامناً: بئر السُنبلة:

وهي على لفظ سنبلة الزرع [112]، بئر حفرها (خلف بن وهب بن حذافة)[113]، من بني جمح[114].

تقع هذه البئر بأسفل مكة على خط الخرامية، مقابل دار الزبير بن العوام. ويقال لها أيضاً (بئر النبي)، لأنه قيل إن النبي (ﷺ) بصق فيها، كما قيل إن ماءَها جيد من الصداع[115].

وقد افتخرت (بني جمح) بحفر هذه البئر حيث قال فيها شاعرهم:

نحن حفرنا للحجيج سنبلة صوب سحاب ذو الجلالة أنزله

ثم تركناها برأس القنبلة تصب ماء مثل ماء المعبلـه

نحن سقينا الناس قبل المسألة[116].

تاسعاً: بئر الغَمْر:

الغَمْر: بفتح الأول، وسكون الثاني، و يقصد به الماء الكثير المغرق[117].

وهي بئر قديمة في مكة حفرت من قبل (بني سهم) [118]، حفرها العاص بن وائل، وقد سميت باسمِهِ[119].

وافتخرت(بنو سهم) بحفر هذه البئر حيث قال بعضهم:

(112) الأندلسي، المصدر السابق، 759/3.
(113) ابن حزم المصدر السابق 159/1.
(114) البلاذري، المصدر السابق، 57/1.
(115) الازرقي، المصدر السابق، 219/1.
(116) ابن هشام، المصدر السابق، 138/1.
(117) الحموي، المصدر السابق، 211/4.
(118) الأندلسي، المصدر السابق، 1003/3.
(119) البلاذري، المصدر السابق، 58/1.

نحن حفرنا الغَمْر للحجيج تثج الماء أيما ثجيج (120)

وقال فيها الشاعر أيضاً:

سقى الله امواهاً عرفت مكانها جُراباً ومْلكوما وبذّر والغمْرا (121)

عاشراً: بئر أم أحراد:

أحراد: هي جمع حِرد، وهي قطعة من السنام، فكأنها سميت بهذا الاسم لأنها تؤدي إلى تسمين الإبل، وتظهر لهم شحماً، أو شئ مثل ذلك. والحَرْد: يقصد به القطا التي ترد على الماء للشرب. فكأن هذه البئر تردها القطا والطير، فعلى ذلك يكون أحراد جمع: حُرْد بالضم(122).

حفرت هذه البئر من قبل (عبد الدار بن قصي)(123).

وقد افتخرت وتباهت بحفر هذه البئر وبحفرها من قبل (بني عبد الدار بن قصي)، (أميمة بنت عُمَيْلة بن السباق بن عبد الدار) زوجة (العوام بن خويلد) حيث قالت في هذه البئر:

نحن حفرنا البحر أم حراد ليست كنّدر النزور الجماد (124)

فأجابتها ضرتها (صفية بنت عبد المطلب) أُم (الزبير بن العوام) مفتخرة بحفرهم لبذّر. التي كانت شاعرة وهي شقيقة حمزة عم الرسول (ﷺ)، وكانت قد تزوجت في الجاهلية مرتين، زوجها الأول هو(الحارث بن حرب بن أمية) أما الثاني فهو فقد كان (العوام بن خويلد)، والتي أسلمت فيما بعد وبذلت الشيء الكبير من أجل الدعوة الإسلامية وفي سبيل الله ورسوله تشهد بذلك لها مواقع كثيرة منها موقعة أحد. حيث قالت:

---

(120) ابن هشام، المصدر السابق،138/1 ؛ الحموي،المصدر السابق، 211/4.

(121) الحموي، المصدر السابق، 361/1.

(122) ابن هشام، المصدر السابق، 137/1.

(123) الازرقي، المصدر السابق، 222/2 ؛ البلاذري،57/1.

(124) البلاذري، المصدر السابق، 57/1.

نحن حفرنا بذر نسقي الحجيج الأكبر
من مقبل و مدبر وأم احراد شر (125)

وفي رواية أخرى:
نحن حفرنا بذر تروي الحجيج الأكبر من مقبل و مدبر
وأم احراد شر فيها الجراد و الذر وقذر لايذكر (126)

إحدى عشرة بئر سقية:

هذه البئر سميت (سقية) بالسين المهملة، والقاف المثناة، وتسمى (شفية) ايضاً، بلفظ تصغير شفاء، للذي يطيب ويشفى من الداء[127].

حُفرت هذه البئر من قبل (بني أسد بن عبد العزى بن قصي)، وتسمى (بئر بني أسد)[128]. كما تسمى أيضاً (شُفَيّة بئر بني أسد) [129]. وقد قال فيها (الحويرث بن أسد) مفتخراً ومتباهياً بحفرها وبمائها الشافية:

ماء شفية كماء المزن وليس ماؤها بطرق أجْنِ (130)

من ملاحظة عدد الآبار التي حفرت في مكة يظهر لنا حاجة أهل مكة إليها، لاسيما بعد أن انتشرت قريش بمكة، وكثر عدد سكانها، فقلت عليهم مياهها،

(125) ابن هشام، المصدر السابق، 137/1؛ وينظر: حبيب، سيرة الزبير بن العوام، بيروت، 1985، ص9.
(126) البلاذري، المصدر السابق، 57/1.
(127) الازرقي، المصدر السابق، 218/2.
(128) ابن هشام، المصدر السابق، 137/1.
(129) المصدر نفسه،137/1 ؛البلاذري،المصدر السابق، 57/1.
(130) ابن هشام، المصدر السابق، 137/1 ؛ البلاذري، المصدر السابق، 57/1.

وازدادت الحاجة إليه جداً [131]، مما أدى وحدى بشخصيات مكية معروفة إلى الاتجاه إلى حفر هذه الآبار من أجل تخليص السكان من هذه المشكلة الكبيرة.

ومن هذه الشخصيات المعروفة (مرة بن كعب بن لؤي) و(كلاب بن مرة) و(قصي بن كلاب)، واسمه زيد، وكنيته أبو المغيرة[132]، والذي يعدّ مؤسس مدينة مكة حيث إنها لم تعد مجرد تَجمع حول الحرم[133].

وتشير الروايات التاريخية إلى أن القريشين كانوا متفرقين في الشعاب ورؤوس الجبال، إلى أن قام (قصي) بجمعهم وإسكانهم في مكة، ولذا فإنه يُسمى (مجمعاً)[134].

وفيهم أيضاً (عبد مناف بن قصي)، والذي أسمه المغيرة[135]، وكنيته (أبو عبد شمس) ولقبه قمر البطماء لجماله[136].

وأيضاً (هاشم) والذي كان اسمه (عمرو)، وكنيته أبو نضله، وإنما قيل له (هاشم) لأنه أول من قام بتهشيم الثريد لقومه في مكة وأطعمهم [137]. وكذلك أخيه (عبد شمس) والذي كان أسن (بني عبد مناف) [138]، وكان والده (عبد مناف) يكنى به، فيقال له (أبو عبد شمس) [139]، (وعبد شمس) كانت كنيته (أبو حبيب)

---

(131) الازرقي، المصدر السابق، 221/2،214.

(132) المصدر نفسه، 220/2–221 ؛ وينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، 18/2.

(133) واط، مونتكمري، محمد في مكة، تعريب: شعبان بركات، بيروت، 1952ص22؛ وينظر: الحميدة، المرجع السابق، ص23–26.

(134) ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد احمد،الهند، 1964، ص13 ؛ القلقشندي، احمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الابياري، بيروت، 1982 ص9؛ وينظر: الحديثي، الأمة والدولة في سياسة النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين،بغداد،1987،ص43.

(135) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص71.

(136) السهيلي، عبد الرحمن، الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، 8/1978،1 ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 18/2.

(137) ابن الأثير، المصدر السابق، 16/2.

(138) ابن هشام، المصدر السابق، 121/1.

(139) ابن الأثير، المصدر السابق، 18/2.

الذي كان أكبر أولاده [140]. ويقال إن اسم (عبد شمس) اسم قديم معروف لديهم، نسبة إلى (عين ماء) كانت معروفة لديهم، أو نسبة إلى صنهم. وأول من تسمى به، يقال:(سبأ بن يشجب) [141]. وكما جاء في البحث إن عبد شمس حفر عدداً من الآبار في مكة، وأنه افتخر بحفرها، الذي كان سببه حسب ما جاء في إحدى الروايات هو من أجل إعلاء شأنه بين قومِهِ [142]. لأن مثل هذه الأعمال في تلك الفترة من الزمن وفي هذا المكان (مكة) كانت تجلب للإنسان أو للشخص الذي يقوم بذلك المجد، والرفعة، والسؤدد، خاصةً بسبب اعتمادهم على الآبار، ومن ثم لأن موارد المياه تعد لدى السكان سر الحياة وإكسيرها، وهي سر تجمعهم أو تفرقهم.

ويبدو لنا من خلال البحث ومن خلال ما موجود من الروايات التاريخية التي توضح لنا ذلك. إن عادة حفر الآبار كانت متبعة من قبل قصي، كما كانت سابقاً من قبل والده وجده[143].

وبعد أن توفي قصي نرى أن أولاده، وأحفاده من بعده استمروا على هذه العادة المتبعة عندهم وهي (حفر الآبار). وذلك لأن أولاد قصي ذلك الرجل الذي كانت قريش ترى أوامره " كالدين المتبع "، كانت يجب أن تسمع وأن تطاع سواء أكان ذلك في حياته أو بعد مماته [144]. ولما كان لهم من العدد والشرف الذي لا ينافسهم أو يناهضهم عليه أحد[145].

(140) ابن حزم، المصدر السابق، 74/1.

(141) ابن دريد، المصدر السابق، 155/1 ؛ ابن منظور، محمد، لسان العرب، مصر، (د–ت)، 430/7.

(142) البلاذري، فتوح البلدان، مراجعة: رضوان محمد، بيروت، 1978، ص61.

(143) الازرقي، المصدر السابق، 220/2–221.

(144) اليعقوبي، احمد، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: محمد صادق، النجف، 1974،1/210.

(145) العصامي، عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، (د–ت)، 3/3.

إن حفر هذه الآبار من قبل (بني عبد مناف) حفز قبائل قريش الأخرى التي رأت انه لا ذكر لها في حفر تلك الآبار، مما أدى بهم الأمر إلى حفر آبار أخرى، وجعلوا يتبارون بها في الري و العذوبة[146].

إن مسالة توفير كل سبل الراحة والأمن، من مشرب ومأكل لضيوف بيت الله (الحجاج) وخدمتهم كان ينظر إليها بمثابة الشرف المتوارث من قصي والسنة المتبعة يتوارثها أولاده وأحفاده من بعده جيلاً بعد جيل.

وتبين أيضاً أن بعض القبائل كانت تشعر بالغيرة من (بني عبد مناف) و تنفس عليهم هذا الأمر ولكنها تذعن للأمر الواقع لما لهؤلاء الشخصيات (بني عبد مناف) من ميزات تميزهم عن سواهم من الآخرين.

(146) الازرقي، المصدر السابق، 222/2.

Mecca Wells and Their Economic and Social Importance

Dr. Nehal Khalil Al- Sharaby*

Abstract

Mecca , being situated in a barren valley. It suffered from draught and shortage of rain. This The present study tackles the Meccan wells and their economic and social important. led the masters. of Mecca, among whom were Qusay and his sons and grandsons, take the responsibility of digging the wells to provide water for the pilgrims. Therefore, they dug several wells inside Mecca. In addition , performing such tasks would raise their rank among the Arab tribes.

*Dept. of History/ College of Education/ University of Mosul